اليمن المسلم المسالم لم يعتدِ على أحد، ولن ينسى دماء أطفاله



بقلم: د. بدور ثابت قائد الديلمي..

ليست مأساة اليمن مجرد حربٍ عابرة في سجل الصراعات، وليست دماء أطفاله أرقاماً تُضاف إلى إحصائيات القتلى، ثم تُطوى ملفاتها بتغيّر المصالح والتحالفات.

إنها مأساة وطنٍ دُفعت طفولته إلى قلب الحرب، وشعبٍ تحمّل سنوات من القصف والحصار والدمار، بينما كان العالم يشاهد، وبعضه يشارك ويدعم ويبرّر.

إن أكثر ما يوجع في هذه المأساة ليس الدمار وحده، بل تلك الطفولة التي سُرقت منها الحياة قبل أن تعرف معنى الحرب، وتلك الأمهات اللواتي فقدن أبناءهن، والآباء الذين لم يتمكنوا من حماية أحلام صغارهم، والأسر التي تحوّلت حياتها إلى ذاكرة مثقلة بالفقد.

أيّ ذنبٍ ارتكبه طفل يمني حتى يُحرم من حضن أمه؟

وأيّ جريمة ارتكبها حتى يصبح بيته ومدرسته ومحيطه الآمن جزءاً من مشاهد الحرب؟

كيف يمكن للعالم أن يتحدث عن حقوق الإنسان، بينما لا تزال دموع الأمهات اليمنيات شاهداً على سنوات من المأساة؟

اليمن.. شعب السلام الذي لم يعتدِ على أحد:

إن اليمن لم يكن يوماً مشروع عدوان على الشعوب، ولم يحمل أبناؤه في تاريخهم رسالة احتلال أو أطماع توسعية ضد الآخرين. إنه شعب عريق، صاحب حضارة ضاربة في أعماق التاريخ، عُرف بالكرم والشجاعة والإيمان والتمسك بالأرض والكرامة.

ومن الشواهد التاريخية التي يعتز بها اليمنيون أن الإسلام دخل اليمن وانتشر بين أبنائه بالدعوة والقناعة، دون غزو عسكري أو إخضاع بالسلاح، في دلالة على مكانة الإيمان والاختيار في تاريخ هذا الشعب.

نحن شعب لم يعتدِ على أحد، ولم يطلب من شعوب العالم أن تدفع ثمن خياراته، ولم يجعل من دماء الآخرين وسيلة لتحقيق مصالحه. لكننا أيضاً لسنا شعباً يقبل أن تُستباح أرضه، وتُقصف بيوته، ويُقتل أطفاله، ثم يُطلب منه أن ينسى ويتنازل عن حقوقه.

إن حب اليمن للسلام ليس ضعفاً، وصبره ليس استسلاماً، وتسامحه ليس تفويضاً لأحد كي يعتدي عليه. فهناك فرق شاسع بين شعب يريد السلام، وشعب يُطلب منه أن يقبل الإهانة والعدوان باسم السلام.

إلى الدول التي شاركت ودعمت وأيدت العدوان:

إن المسؤولية لا تتوقف عند الطرف الذي اتخذ قرار الحرب ونفّذ الغارات، بل تمتد، كلٌّ بحسب دوره وما يثبت عليه، إلى كل من شارك أو أرسل قوات أو قدم دعماً عسكرياً أو لوجستياً أو سياسياً، أو وفّر غطاءً للعدوان، أو أسهم في استمراره.

ومن بين الدول التي ارتبطت مواقفها بمساندة التحالف: مصر وتركيا وباكستان، إلى جانب أطراف أخرى.

إن التاريخ لا يتعامل مع الحروب باعتبارها بيانات دبلوماسية عابرة، بل يسجل القرارات والمواقف والأدوار والنتائج. ولن تكون التحالفات السياسية حصانة أبدية من المساءلة، ولن تستطيع المصالح المتغيرة محو ما خلّفته الحرب من مآسٍ إنسانية.

كل من شارك في العدوان، أو أسهم في استهداف المدنيين، أو ثبت تورطه في انتهاكات بحق الشعب اليمني، يتحمل مسؤولية تستوجب التحقيق والمحاسبة والإنصاف.

فدماء أطفال اليمن ليست تفصيلاً في حسابات السياسة، وحقوق الضحايا ليست أوراقاً يمكن إغلاقها بمجرد توقيع اتفاق أو إعلان نهاية الحرب.

فتاوى شيطانية شرعنت الحرب:

أما علماء الدين الذين أصدروا فتاوى أو مواقف أيدت الحرب أو بررت سفك الدم اليمني، فإن مسؤوليتهم الأخلاقية والدينية تستحق وقفة جادة.

بأي حق تحولت المنابر إلى منصات لتبرير الحرب؟ وكيف أمكن توظيف الفتوى في صراعات سياسية بينما كانت دماء الأبرياء تُراق، والأمهات يفقدن أبناءهن، والأطفال يُحرمون من أبسط حقوقهم؟

إن الدين ليس غطاءً للعدوان، والفتوى ليست صكاً لاستباحة الدماء، والعالم الذي يحمل مسؤولية الكلمة ينبغي أن يكون أول المدافعين عن حرمة الإنسان وحقه في الحياة.

إن تبرير الحرب لا يقلل من فداحة نتائجها، والصمت عن الظلم لا يصنع براءة، والتاريخ لا ينسى مواقف من امتلكوا الكلمة ثم استخدموها في غير موضعها.

أطفال اليمن.. جريمة في ذاكرة وطن:

وراء كل طفل فقد حياته أمٌّ انكسر قلبها، وأبٌ فقد قطعة من روحه، وأسرة لم تعد تعرف طعم الحياة كما كانت.

هناك أمهات ما زلن يحتفظن بملابس أطفالهن، وأسر لا تزال تنتظر عودة من لن يعود، وبيوت بقيت فيها الألعاب الصغيرة شاهدة على أصحابها الذين رحلوا قبل أن يكبروا.

هذه ليست مجرد مشاهد حزينة، بل مأساة إنسانية لا يجوز أن تتحول إلى خبر قديم.

قد تتوقف الغارات، وقد تتغير الحكومات، وقد تتبدل التحالفات، لكن الأم التي فقدت طفلها لن تنسى، والأب الذي دفن أبناءه لن يمحو الزمن صورهم من ذاكرته.. إن أوجاع اليمنيين لن تسقط بالتقادم، ودماء الأطفال لن تتحول إلى أرقام باردة، وحقوق الضحايا لن تسقط بتغير موازين السياسة.

نحن لا نطالب بدماء أطفال مقابل دماء أطفال، ولا نريد أن تتكرر المأساة في أي بلد؛ فالأطفال أبرياء أينما كانوا، ودموع الأمهات لا تختلف من وطن إلى آخر. إنما نطالب بالعدالة، وكشف الحقائق، ومحاسبة المسؤولين، وإنصاف الضحايا، وضمان عدم الإفلات من العقاب.

اليمن لا يبحث عن عداوة مع العالم:

إن عظمة اليمن لا تكمن في قدرته على الصمود وحده، بل في حضارته وتاريخه وشعبه الذي لم يفقد انتماءه لأرضه رغم كل ما تعرض له.

اليمن لا يريد حرباً مع الشعوب، ولا يحمل عداوة للمصريين أو الأتراك أو الباكستانيين أو غيرهم من شعوب العالم. فالشعوب ليست حكوماتها، والأطفال في كل الأوطان يستحقون الحياة والأمان.

لكن احترام الشعوب لا يعني إسقاط المسؤولية عن الحكومات والجهات التي شاركت في العدوان أو دعمته.

ومن يعتقد أن اليمن يمكن أن ينسى دماء أبنائه، أو أن يساوم على كرامته وحقوق ضحاياه، فإنه لا يدرك طبيعة هذا الشعب ولا عمق ذاكرته التاريخية.

إن نهاية العدوان لا تعني نهاية المسؤولية، وإن توقف الحرب لا يعني إغلاق ملفات الجرائم، وإن مرور السنوات لا يمنح المتورطين حصانة من العدالة.

ستظل قضية أطفال اليمن مفتوحة أمام الضمير الإنساني والقانون الدولي والتاريخ، وستبقى المطالبة بمحاسبة كل من تثبت مسؤوليته حقاً لا يسقط بالتقادم.

وفي النهاية، لا بد أن تُقال الحقيقة بوضوح:

اليمن لم يعتدِ على أحد، ولم يكن عدواً لشعوب العالم، ولم يختر الحرب على أرضه. لكنه لن يقبل أن يُقتل أطفاله ثم يُطلب منه الصمت، أو أن تُدمّر مقدراته ثم يُطلب منه النسيان، أو أن تُنتهك سيادته ثم يُطلب منه التنازل عن حقوقه.

نحن أبناء وطنٍ علّمته الحضارة معنى الحياة، وتعلّم من جراحه معنى الصمود، ولن تكون دماء أطفاله صفحة قابلة للمحو من ذاكرة التاريخ.

رحم الله أطفال اليمن، وجبر قلوب أمهاتهم، وأنصف المظلومين، وأبقى للعدالة صوتاً لا تطفئه المصالح ولا تسكته التحالفات.

فاليمن قد يصبر، لكنه لا ينسى.. وقد يمد يده للسلام، لكنه لا يتنازل عن كرامته.. وقد تنتهي الحروب، لكن حقوق ضحاياه لا تنتهي حتى تتحقق العدالة.